ظواهر لغوية في لهجة الأهوار

د عبد الجبار عبد الأمير هاني

كلية الآداب / جامعة البصرة

الملخص

يتناول البحث طائفة من الظواهر اللغوية الشائعة في بيئة الأهوار في مدينة العمارة ، وقد تستى لي دراستها في إطار ثلاثة مستويات هي : المستوى الصوتي وتناول تطوّر بعض الأصوات العربية فيها من خلال بعض الظواهر الصوتية ، والمستوى الإفرادي وهو بحث في بنية الكلمة من جهة التوليد اللفظي والتصغير والجمع ، والمستوى الدلالي الذي تناول دلالة طائفة من الألفاظ الدخيلة ، والألفاظ التاريخية والعربية الفصيحة ، وكانت غاية البحث وصف الاستعمال اللغوي في إطار هذه المستويات الثلاثة في هذه البيئة اللغوية التي تندرج في قائمة اللهجات العربية الحديثة .

Abstract

This research aims to study the dialect of inhabitants of Amara according to levels : 1.Sonic level which examines the evolution of some sounds . 2 . Morphological level which examines the structure of words . 3. Semantic level which examines a number of historical and fluent Arabic words

المقدمة

هذه محاولة متواضعة أتيت لي في أثناء إقامتي في مدينة العمارة ، وكان الدافع إليها ما سمعته من بعض الأهالي المنحدرين من بيئة الأهوار من ظواهر لغوية ، رغبت في متابعتها وتدوينها ، وقد تمّ لي

شيء من هذا بعون الله ، فأثرت أن أبرزه في هذا البحث الذي يتناول (ظواهر لغوية في لهجة الأهوار) ، معتمداً فيه على السماع في الغالب ، وسؤال بعض الفضلاء الذين كانوا على مقربة من هذه البيئة ، وقد تبين لي أنّ أبرز الظواهر اللغوية التي يمكن رصدها في هذه البيئة ، هي ظواهر صوتية غالباً تكمن في ظاهرتي الإبدال والإمالة خاصة ، وهذا الجانب تكفلَ المبحثُ الأول بالوقوف عنده وبيانه ، وظواهر إفرادية تتعلق ببنية الكلمات من حيث توليدها على مستوى القلب والنحت ، ومن حيث الظواهر الاستعمالية على مستوى التصغير والجمع ، وهذا الجانب تكفلَ المبحث الثاني بالحديث عنه ، وقد كنت أردت أن أضمن هذا المبحث (ظاهرة العلم) وتسمية الأشخاص في هذه البيئة ، لولا أنني رأيت بحثاً في الأعلام غير الحضرية للدكتور إبراهيم السامرائي – رحمه الله – ضمّنه كتابه ((فقه اللغة المقارن))^(١) ، فأغنى به عن الخوض فيه ، وظواهر دلالية تتعلق بالألفاظ التي يطردُ دورانها على ألسنة أهالي هذه البيئة ، وهو ما قصرت المبحث الثالث عليه .

وقبل تناول هذه الظواهر اللغوية ، رأيت أن أتحدث بشيء من الإيجاز الكافي عن بيئة الأهوار في مدخل يكون تمهيداً لمادة البحث .

هذا ولا أدعي أنّ ما ورد في هذا البحث هو كلّ ما يقال عن لهجة الأهوار ، فما هي إلا مجموعة من ظواهر لغوية بارزة تميزت بها هذه البيئة ، كما لا أدعي أنّ عملي في دراسة هذه اللهجة لم يخل من الصعوبات ، ولعلّ أبرزها : أنّ المساحة الغالبة من بيئة الأهوار قد درست ، وأنّ أكثر أهالي هذه المساحة قد هجروها إلى المدينة ، فكان اللقاء بهم متعذراً ، وإن سمعت شيئاً من بعضهم ، هنا وهناك .

ومن الصعوبات الأخرى التي وقفت إزاء البحث ، ما يتعلق بالرموز الكتابية لبعض الأصوات الفرعية التي يكثر نطقها في هذه البيئة ، ومنها ذلك الصوت المتولد عن الجيم الفصيحة ، الذي يشبه نطقه صوت الزاي الفارسية (ژ) أو ما يسمى بالجيم الشامية . و مردّ هذه الصعوبة يكمن في عدم الاتفاق على كتابة رمز موحد له بين الباحثين المعاصرين ، فقد اقترح د . تمام حسان الرمز (چ)^(٢) له ، ورمز له د . رمضان عبد التواب ب (چ)^(٣) وهذا الرمز يشير إلى صوت الجيم الشديدة المهموسة الممزوجة بصوت الشين عند الدكتور حسام النعيمي^(٤) ، وقد اقترح البحث أن يكون رمز صوت الجيم الرخوة المجهورة (چ) في مقابل الرمز (چ) الذي يشير إلى الجيم الشديدة المهموسة . ومن بين الصعوبات الأخرى التي واجهت الباحث قراءة بعض الكلمات المستعملة في بيئة الأهوار على المستوى الصوتي ، فالبحت يتردّد في قراءة (الكولان) ، بالكاف الفصيحة أو بالكاف الفارسية (گ) و غيرها ،

غير أنّ مثل هذا قد دُلَّ بقراءة مشتركة بين الباحث وبعض الفضلاء من ذوي العلم ممن هم على صلة بهذه البيئة من خلال مدوناتهم ، أو من خلال سكناهم في مناطق مجاورة لها . وعلى هذا فالبحث مدين لمن عضده برأي أو قراءة ، وإني لأخصّ الأخوة الدكتور عبد الواحد فيصل - رحمه الله - و الدكتور كاظم شنته والأخ الفاضل الباحث جبار الجوبيروي ، بالشكر والعرفان . وإني لأرجو أن يكون هذا البحث مقدمة لدراسة أوسع ، وإنها لتأخذ بكل فكرة أو رأي ، يُقيم أوداً ، أو يُضيف فائدة ينتفع بها البحث .

مدخل :

الأهوار - وهي التسمية المولدة ، التي تقف بإزاء التسمية الفصيحة البطائح ، قال الجوهري ((وبتأخ النبيت بين العراقيين))^(٥) ، والدلالة المشتركة بين اللفظين ، هي الاتساع ، ففي اللهجات العامية العراقية تطلق كلية الهور على السعة ، ((وتبّطح السيل : اتسع))^(٦) والهور في اللغة ((البحيرة تندفع إليها مياه غياض وأجام فتتسع ويكثر ماؤها))^(٧) ، وفي لغة أهالي هذه البيئة ، وفي اصطلاح دارسيها يطلق الهور - وهو واحد الأهوار - على تلك المنخفضات أو المستنقعات المائية ، التي يكثر فيها نمو نباتات القصب والبردي ، والتي تصلح لتربية الأسماك والجاموس .

ولا شكّ في أنّ الأهوار بهذا المعنى من البيئات العراقية القديمة التي مازالت تحتفظ بهذه العناصر الطبيعية نفسها ، حتى عدّت ((أجمل المناطق))^(٨) . وبالرغم من قدم هذه البيئة الذي يمتدّ إلى زمن السومريين الذين يُعدّون من أقدم العناصر البشرية التي سكنتها ، فإنّ أغلب ساكنيها كانوا إلى زمن قريب من العرب الذين ينحدرون إلى قبائل عدنانية وأخرى قحطانية ، فمن العدنانيين : بنو سعيد (العيسى والبرّون) وغيرهم ، ومن القحطانيين : آل أبو محمد ، وهم من زبيد ، و هم أكبر العشائر في محافظة ميسان ، وبنو لام الذين ينحدرون إلى طيء^(٩) . ومن العشائر التي سكنت الاهوار : عشيرة السراي وعشيرة آل أبو دراج وكلاهما ينحدر إلى قبيلة ربيعة العدنانية^(١٠) .

والغالبية من هؤلاء ممن سكنوا الأهوار : ((يعيشون في مساحات واسعة ضائعة من المياه . . . في أكواخ من القصب قائمة على جزر عائمة في المياه))^(١١) والتسمية المألوفة التي تطلق على أهالي الاهوار هي : المعدان - بكسر الميم - ويبدو أن هذه التسمية قديمة ، ولعلّ تاريخ استعمالها يعود إلى القرن الأول الهجري ، ففي هذا القرن تُصادف من أسماء الأعلام : معدان الفيل المهري ، وهو رجل من أهل ميسان^(١٢) . ومن عقبه عنبسة الفيل أبرع تلاميذ أبي الأسود الدؤلي . ومن المحتمل أنّ تسمية عرب

الأهوار من هذا بعد أن أصاب الكلمة شيء من التطور الصوتي ، على لهجتهم التي تميل إلى الكسر ، فأصبحت (معدان) ، على نحو : ميسان وميسان ، ورمضان ورمضان . ودكان ودكان وغيرها ، ثم تحولت دلالتها إلى الجمع ، وأطلق على الواحد منهم : معيدي . وأصل الكلمة من (المعد) الفصيحة التي تعني الضخم والغليظ^(١٣) . و(معدان) على (فعْلان) إحدى صيغ الصفة المشبهة ، وبعض عرب الأهوار كذلك ، فهم يمتازون بالغلظة و الخشونة ، وقال الدكتور جواد علي : ((ولا أستبعد أن يكون بين لفظة معيدي ومعدان التي تطلق في العراق اليوم على الغلاظ السود من بعض الأعراب وبين معد ، صلة ، فقد كانت مواطن معدّ في العراق أيضا ، والصفات المذكورة تنطبق على المعدان كذلك))^(١٤) وهو تفسير مقبول .

ومن الثابت لدينا إن هذه البيئة ظلت بمنأى عن المؤثرات التركية خلال الحكم العثماني (١٨٩١ - ١٩١٧ م) ، والمؤثرات الانكليزية خلال الاحتلال البريطاني للعراق (١٩٣٢ - ١٩١٧ م) ، بسبب عدم اتصال أهالي الأهوار بأي منهما ، كما أفادني الباحث الفاضل جبار الجويبروي . ومن الملاحظ ، تأثر هذه البيئة ، قليلا ، باللغة الفارسية ، على مستوى استعمال بعض الألفاظ ، وهذا التأثر إنما هو من قبيل المجاورة والاحتكاك ، فإنّ بيئة الأهوار الشرقية ، خاصة ، قريبة من الحدود الإيرانية . وإذا كان ((السبب الرئيسي لنشأة اللهجات المحلية ، يرجع إلى اختلاف الأقاليم ، وما يحيط بكل إقليم من ظروف ، وخصائص تاريخية وجغرافية))^(١٥) ، فإنّ هذا يصدق على بيئة الأهوار ، بوصفها إحدى اللهجات المحلية - في محافظة ميسان - التي احتفظت بخصائص لغوية تفردت بها عن بقية اللهجات المحلية الأخرى .

البحث الأول : الظواهر الصوتية

أولاً : الإبدال

جماع الأصوات الصامتة المنطوقة في لهجة الأهوار ثلاثون صوتاً ، منها سبعة وعشرون صوتاً هُنَّ من الأصول الفصيحة ، وثلاثة أصوات فروع - في الغالب - هي : الجيم السامية التي نجدها في العبرية^(١) (گ) أو الجيم الممزوجة بصوت الشين (چ) التي تنطق نطقاً مماثلاً لصوت الزاي الفارسية

(ژ) أو الجيم الآرية^(١٦) وهي شين ممزوجة بصوت الجيم (ج). وهذا الصوت الأخير من تحولات صوت الكاف في بعض المواضع وفي كاف المخاطبة غالباً ، وهو مسموع في أكثر البيئات العراقية . وقد تلاشى نطق صوت الضاد الجانبية – كما في بقية اللهجات العربية – وحلّ محلّه صوت الظاء المطبق .

ومما يميز بيئة الأهوار في إطار الأصوات الصامتة ميل أهلها إلى ظاهرة إبدال صوت بأخر ، وهذه الظاهرة تعني نطق صوت في كلمة بصوت آخر دون تغيير في معنى الكلمة ، وهي ظاهرة لغوية يؤخذ منها التطور الحادث في الأصوات اللغوية ، ومن بين الأصوات التي خضعت لهذه الظاهرة في بيئة الأهوار الخاصة : القاف والجيم والذال والهمزة .

١ – تطور صوت القاف : يُنطق صوت القاف الفصيحة ((برفع أقصى اللسان حتى يلتقي باللهاة ويلتصق بها فيقف الهواء وبعد ضغط الهواء مُدّة من الزمن ينطلق سراح مجرى الهواء بان ينخفض أقصى اللسان فجأة فيندفع الهواء))^(١٧) دون ((حدوث اهتزازات في الأوتار الصوتية))^(١٨) . فهو بهذا صوت شديد – مهموس .

وقد تحوّل هذا الصوت في بعض البيئات العربية إلى صور نطقية مختلفة ، ومنها بيئة الأهوار التي يُسمع فيها نطق القاف في بعض الكلمات ، صوتاً رخواً مجهوراً ، و يُسمع في كلمات آخر صوتاً شديداً مجهوراً .

وتحوّل القاف إلى صوت رخو مجهور يعضده السماع في بعض البيئات العربية في السودان وجنوب العراق ، فأهالي هذه البيئات ينطقون القاف ((نطقاً يخالف نطقها في معظم اللهجات العربية الحديثة إذ نسمعها منهم نوعاً من الغين))^(١٩) والمسموع في بيئة الأهوار خاصة هو صوت الغين ، وذلك في نحو : غَنَد (قند) ، دَعَل (دقل ، الرديء من التمر) ، غُويسِم (تصغير قاسم) ، غنبل (قنبل – قطع حلوى صغيرة مكورة) نَغِيع (نقيق) ، غِيس (قيس) ، الغرية (القرية) ، غِسْمَتِي (قسمتي) ، غَهْرَنِي (قهرني) .

وإبدال القاف غيناً يبرّره التقارب بين مخرجي الصوتين ، فالقاف لهوي والغين طبقي ، وكلاهما ينطق برفع مؤخر اللسان واتصاله باللهاة مع القاف وبالطبق مع الغين . والغاية منه الميل إلى جهر القاف

المهموسة بنطقها غيناً ، فضلا عن أنّ صوت الغين من بين الأصوات الرخوة ، المرققة ، الأمر الذي يجعلها أكثر تصويماً في الفم وأكثر وضوحاً في السمع ، في بيئة تتناغم فيها عناصر الطبيعة .

وقد تحوّل صوت القاف ، قديماً ، إلى صوت شديد مجهور وهو صوت الجيم . فقد سُمع : زَلَقْتُ الموضوع وزَلَجْتُهُ ، أي مَلَسْتُهُ^(٢٠) ، واستوثقَ من المال واستوثجَ " إذا استكثر^(٢١) . ومثل هذا حدث على ألسنة أهالي الأهوار ، فنسمع منهم : ثَجِيل (ثقيل) جَاعِدَة (قاعدة) ، سُوَاجِي (سواقي) جِدَام (قدام) جِدِم (قدم) بَرِيحُ (بريق) عَتِيح (عتيق) يَطِيح (يطيق) ، يَعْجِد (يعقد) ، ظِيح (ضيق) عَاجِدَة (عاقدة) ، شَفِيح (شفيق) رِيح (ريق) ظَايِح (ذائق) ، وغيرها .

وتحول صوت القاف إلى جيم يبرّره اشتراك الصوتين في الشدة ، وهو من قبيل جهر الأصوات المهموسة ، وهو ما يميل إليه أهالي الأهوار في الغالب .

ويمكن القول إن صوت القاف يكاد يكون من بين الأصوات غير الثابتة في هذه البيئة فقد تحول فضلا عما ذكر ، إلى صوت مجهور آخر ، وذلك بانتقال مخرجه إلى الإمام قليلاً ، ذلك هو صوت الكاف الفارسية (گ) غير أنّ هذا الصوت لا تختصّ بنطقه بيئة الأهوار ، بل تشركها فيه أكثر اللهجات المحلية في العراق .

٢ – تطور صوت الجيم

يُنطق صوت الجيم بارتفاع ((مقدم اللسان تجاه مؤخر اللثة ومقدم الحنك ، حتى يتصل بهما محتجزاً وراءه الهواء الخارج من الرئتين))^(٢٢) ، ثم يزول هذا الاحتجاز فجأة مُحدثاً صوتاً شديداً ، تهتزّ معه الأوتار الصوتية . وعلى هذا فالجيم الفصيحة صوت شديد مجهور* .

وتشير الدراسات اللغوية القديمة إلى أن صوت الجيم قد تحوّل إلى صور نطقية مختلفة ، فقد تحوّل إلى الصوت الشجري (الياء) وإلى الصوت السامي الخالي من التعطيش (گ) ، كما تحول إلى صوت مزدوج عبّر عنه سيبويه بـ ((الجيم التي كالشين))^(٢٣) وهي الجيم الممزوجة بصوت الشين ((وفي المثل : شرما أجاك إلى مخة العرقوب . . . وتميم تقول : شر ما أشاءك))^(٢٤) ينطق الجيم مُشربة صوت الشين - على الأرجح - رغبة منها في المحافظة على جهر الأصوات . وما زال هذا الصوت المزدوج دون رمز كتابي ، غير أن الدكتور رمضان عبد التواب رمز إليه بـ ((چ))^(٢٥) وهذا الرمز لدينا يعبر عن الصوت المبدل من كان المُخاطبة في ظاهرة الكشكشة المعروفة ، والجيم المزدوجة

أقرب إلى صوت الزاي الفارسية في نحو : ژون بمعنى صنم وهذا الرمز لا يصلح للجيم المزدوجة فهو أقرب إلى رمز الزاي ولا بد من الرمز أن يكون مصداقاً على الصوت المنطوق وما دام الأمر يتعلق بالجيم ، فمن الممكن كتابته بالرمز (ج) تمييزاً عن (چ) .

والجيم المزدوجة ما زالت مسموعة في بيئة الأهوار والأرياف المجاورة لها في نحو : المجر ، إجه (جاء) جبار ، ثجيل (ثقيل) ، جريدي (تصغير جرد) ، جويبر (تصغير جابر) ، رجاجيل ، جيبه (جيء به) الجاون (الهاون) ، أبو منجل (طائر) ، الفجر ، عجل ، وغيرها ، وتحول صوت الجيم النصيحة إلى صوت الجيم المزدوج يعني انتقال مخرجها إلى الإمام قليلاً وفقدان صفة الشدة ، وتحولها إلى صوت رخو ، مع الاحتفاظ بخاصية الجهر وهو ما يبرر هذا التحول .

٣ – تطور صوت الذال :

ينطق صوت الذال حين يكون طرف اللسان بين أطراف الثنايا ، دون أن يكون هنالك حاجز يمنع مرور الهواء في الفم ، مع تذبذب الأوتار الصوتية ، فالذال بهذا صوت أسناني ، رخو ، مجهور مرقق . وقد تحول هذا الصوت قديماً إلى نظيره المجهور (الظاء) ، وبالرغم من أنّ الظاء ((يكون أصلاً لا بدلاً ولا زائداً))^(٢٦) فقد ورد بدلاً عن صوت الذال في نحو : ((العذبوط ، ومنهم من يقول : عطيوط ، بالظاء))^(٢٧) ، و ((رجل حنذيان وحنظليان))^(٢٨) ، ومثل هذا حادث في بيئة الأهوار في نحو : ظكر (ذكر) . ظخر (زخر) ، يظوك (يذوق) ، ظراع (ذراع) ، ظرك (ذرق) ، ومثل هذا التحول يسوغه أنّ الذال والظاء من مخرج صوتي واحد ، مع اشتراكهما في الصفة فكلاهما رخو مجهور ، والفرق بينهما أنّ الذال مرققة والظاء مَفخمة ، وميل أهالي الأهوار إلى نطق الذال ظاءً في بعض السياقات لغرض تفخيم الذال ، ويبدو أنّ الصوت المنطوق هو صوت مزدوج وليس ظاءً خالصة ، فاللسان ينطلق بالذال ويرتفع بالظاء نحو الطبق .

٤ – تطور صوت الهمزة :

يُنطق صوت الهمزة * بانطباق ((فتحة المزمار انطباقاً تاماً فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق ، ثم تنفجر فتحة المزمار فيسمع صوت انفجاري))^(٢٩) فهو صوت شديد ، ، والقول بانطباق فتحة المزمار بين الوترين الصوتيين ، في أثناء نطقه يعني أنّه صوت مهموس ، وهو ما ذهب إليه بعض المحدثين^(٣٠) وقد أصاب هذا الصوت بعض التغيرات في اللهجات العربية القديمة ، على مستوى إسقاطها أو تحفيفها

أو إبدالها وذلك بتقدم مخرجها إلى الأمام وتحولها إلى صوت احتكاكي مرقق مجهور ، وهو صوت العين ، وقد نُسب نطق الهمزة عيناً إلى قبائل تميم وأسد وقيس^(٣١) وهو ما عُرف بظاهرة العنونة ، وقد روي لنا فيه نحو : ذؤاف وذعاف والثُميء والتمع^(٣٢) ، ومثل هذا حادث في بعض البيئات العربية الحديثة كما في صعيد مصر وأهل النوبة^(٣٣) وهو ما يسمع في بيئة الأهوار والقرى القريبة منها في عدد من الكلمات نحو : الفُرعان ويزعه (جرأة) وأريد أسِغلك (أسألك) وسُعال (سؤال) ويزع (جريء) ، والغرض من ذلك هو جهر صوت الهمزة عن طريق المبالغة في تحقيقها بنطقها عيناً رخوة لتكون أوضح في السمع ، وهو ما انتبه إليه أبو زيد الأنصاري الذي كان يرى أنّ تولد صوت العين هو نتيجة النطق المشبع للهمزة والمبالغة فيه^(٣٤) .

ثانياً : الإمالة

الإمالة ظاهرة صوتية تشير – في الغالب – إلى نطق الألف بعد كسرة صوتاً قريباً إلى الياء ، ونطق الفتحة كسرة إذا كانت متلوة بكسرة أو ياء ، وذلك في سياقات معينة حدّدها اللغويون وعلماء التجويد .

والغاية من الإمالة تكمن في إحداث الانسجام الصوتي بين حركتين متغايرتين في لفظ واحد وذلك بإمالة الفتحة إلى الكسرة ، وفي ذلك تخفيف في عملية النطق لأنّ ((اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة ، والانحدر أخفّ على اللسان من الارتفاع))^(٣٥) .

والميل إلى الكسر ظاهرة صوتية قديمة في بعض اللهجات العربية ، وفي قبائل تميم و أسد وقيس بخاصة ، وقد اشتهر من الفُراء الذين يجنحون إلى الكسر : حمزة والكسائي من الكوفيين ، و أبو عمرو ابن العلاء من البصريين .

والغالب في لهجة الأهوار الميل إلى الكسر في كثير من السياقات ، وقد سمعت من بعض أهالي البيئة ممن وفدوا إلى المدينة ، كثيراً من الكلمات التي تمثلت فيها ظاهرة الإمالة بوضوح ، من نحو : بيت ، حسين ، زوين ، ثجيل ، شكيرات ، بخير ، وبن ، ردي (رديء) ، طويرة ، نفيطات ، ليش ، خُصيرات ، منين ، وغيرها كثير . حتى يمكن القول إنّ بيئة الأهوار أكثر البيئات المحلية في العراق ميلاً إلى الكسر ، مما يجعلها ظاهرة صوتية سائدة فيها ، يمتدّ أثرها في كثير من الصيغ على مستوى الكلمة

المفردة والتصغير والجمع وغيرها ، الأمر الذي نستنتج منه ميل أهالي الأهوار إلى ترقيق الأصوات عن طريق الميل إلى الكسر ، و إحداث ضرب من التوافق الصوتي في بنية الكلمة ، وهو توافق يمنح السامع لونا من التنعيم في بيئة لغوية منسجمة .

المبحث الثاني : ظواهر إفرادية

تُشكّل المفردة – في بيئة الأهوار – بنية مزدوجة من الصيغة والصوت ، فشكل الكلمة على مستوى النطق هو صيغتها المؤلفة من الصوامت والحركات ، وملاحظة بعض الظواهر اللغوية في هذا المجال تؤكد أنّ المفردة بنية صوتية – في الغالب – بالرغم من التنوع التصريفي في استعمالها ، وهذا ما سنعرض له على مستوى توليد الألفاظ ، والتصغير ، والجمع .

أولاً : توليد الألفاظ

من بين وسائل توليد الألفاظ ما يُعرف بـ(القلب) وكذلك ما يُعرف بـ(النحت) وبالرغم من أنّ القلب ظاهرة صوتية تكمن في انتقال صوت من موضع إلى آخر في داخل اللفظة الواحدة ، دون تغيير في المعنى ، فإنّها أقرب إلى أن تكون ظاهرة صرفية ، لما ذكرنا من أنّه وسيلة لتوليد الألفاظ ، وهذه الظاهرة قديمة في اللغة العربية و في بعض لهجاتها ، ويؤخذ بها متى ما كان حدوثها ((في بيئة واحدة فلا بد أن نؤمن بأصالة بعضها ، والمقلوب فرع عن ذلك الأصل ، على شرط أن يكون معنى الصيغة الأصلية والفرعية واحداً ، كقولهم : فَحَتَّ الحية وَحَفَّت))^(٣٦) . وبالرغم من أنّ هذه الظاهرة قليلة الحدوث قديماً وحديثاً ، فإنّها واردة على كل حال ، وقد سُمع في بيئة الأهوار قولهم : نُوحَه ، بمعنى اتّجه إلى ناحية ما ، وهي من (نحا) العربية التي تعني القصد نحو الشيء ، وتفسير هذا القلب أنّ حلول الواو التي هي لام الكلمة محلّ الحاء (عين الكلمة) هو الانتقال من الهمس إلى الجهر ، فضلا عن أنّ الواو صوت شفوي ، أمّا الحاء فهو من أصوات الحلق ، والانتقال من الصوت الأبعد إلى الأدنى أخفّ على اللسان في أثناء النطق .

وكذا سُمع : صِكْدِ ، والأصل : (صِدِغ) من (صِدْق) العربية ، فقد حلت الكاف الفارسية المبدلة من القاف – وهي لام الكلمة محلّ الدال (عين الكلمة) ، ويُفسّر هذا الانتقال بأنّ الكاف الفارسية في هذا الموضع صوت مجهور ، وهو أقرب إلي الرخاوة منها إلى الشدة ، أمّا الدال فهو من الأصوات

الشديدة ، و لا شك في أنّ الصوت الرخو أو الذي بين الرخاوة والشدة ، أكثر انطلاقاً مع النفس من الصوت الشديد .

ومن ذلك ما ورد في كلامهم من قولهم : (كَظَبَة) بدلاً من كَبْظَة (قَبْضَة) ، فقد حَلَّت الظاء – المبدلة من الضاد – محل صوت الباء ، ولعلّ السبب في هذا الانتقال أنّ صوت الباء من الأصوات الشديدة ، فحلّ محلّه (عين الكلمة) صوت الظاء الرخو المجهور . الذي يناسب ميل أهالي الأهوار إلى الأصوات التي يجري النفس معها .

وعلى الرغم من قلة ظاهرة النحت في هذه البيئة ، فإنّ وروده فيها امتداد لظاهرة إفرادية قديمة ، تكمن في صياغة كلمة مفردة من كلمة مركبة أو عبارة . مع الاحتفاظ بالمعنى في كليهما ، و هو وسيلة اشتقاقية لتوليد الكلمات عن طريق الاختزال في بنية العبارة . وكثيراً ما تدور الكلمة (المنحوتة) على ألسنة أفراد البيئة الواحدة وتصبح جزءاً من كلامها المستعمل ، ومثل هذا حدث في العربية الفصيحة وغيرها من اللغات ، وحين ((نستعرض الشواهد الصحيحة المروية عن العرب في النحت لا نكاد نلاحظ نظاماً محدداً نشعر معه بما يجب الاحتفاظ به من حروف ، وما يمكن الاستغناء عنه))⁽³⁷⁾ مما يشير إلى أنّ ظاهرة النحت تحدث اعتباطياً ، فلا دخل للفرد فيها سوى أنّه يتمثلها أو يلجأ إليها دون قصد ، فتشيع في بيئته بعد دورانها . وهذا يصدق على بيئة الأهوار التي كثر فيها استعمال بعض الكلمات المنحوتة من عبارات استفهامية في الغالب ، من نحو : عَليش (على أيّ شيء ؟) ، وليش (لأيّ شيء ؟) ، وبيش (بكم هذا الشيء أو بأيّ شيء ؟) بحسب السياق ، وليوين (إلى أين ؟) ، ومن الكلمات المنحوتة الدالة على النفي : ما مِش (ما من شيء) ، و(موش) التي يغلب أنّها من (ما هو شيء) وهذه الأخيرة قد ترد في سياق التقرير والتحقيق بمعونة التنغيم من خلال نبر المقطع الثاني .

والملاحظ هنا أنّ أهالي الأهوار يميلون إلى كسر ما قبل الياء في الكلمات المنحوتة الدالة على استفهام ، لأحداث التوافق الحركي بين الأصوات وهو ضرب من المماثلة الصوتية .

٢ – التصغير :

من الظواهر الإفرادية الشائعة في بيئة الأهوار ظاهرة التصغير ، التي يلجأ إليها أهالي هذه البيئة في تصغير الأشياء و أعلام الأشخاص ، المفرد والجمع على حد سواء . و إذا قلت إنّ هذه البيئة هي بيئة

التصغير لم أبعد عن الصواب ، فهذه الظاهرة تجري على ألسنة أهلها ولا تكاد تفارقها ، سواء كانوا في إطار بيئتهم أو كانوا وافدين على القرى والمدن القريبة .

وهم يلجؤون إليها لغرض تقليل ما يُتوهم أنه كثير ، أو حسن ، ومن مظاهر التصغير دفع العين عن المُسمّى ، والتودّد إلى الآخر ، وبيان الاحتياج إلى ما لا يُستغنى عنه ، فقد سمعتُ أحدهم وهو يسأل عن أجره الشهري : ماكو فُليسات ؟

وتكاد (فُعِيل - وفُعَيْلة - وفُعِيلات) في المفرد والجمع ، تكون الصيغ المطردة في التصغير ، وقد تُخْلِصَ فيها من صوت اللين الأمامي (الضمة) ، باختزال المقطع الصوتي القصير (فُ) وذلك بإلغاء حركته والبدء بساكن مثلوّ بكسرة شبه مفخمة . في نحو : صُحِين - صُحِين ، مُحِيسِن - مُحِيسِن ، لُحِيمه - لُحِيمه ، طُويره - طُويره .

وقد تُرْفَقَ هذه الكسرة شبه المفخمة ، بسبب من الإتياع ، فيتحول صامت الياء إلى صائته الطويل : مُحِيسِن ، لُحِيمه ، خُويصة ، رُضِيوي ، وتُسمع هذه الإمالة بوضوح في تصغير جمع المفرد جمعاً مؤنثاً سالماً في الغالب ، في نحو : شُكِيرَات ، وُلِيدَات ، نُفِيطات ، خُبيزَات ، بُصِيلات ، خُصِيرَات ، وغيرها كثير ، وقد جرى لساني بمثل هذه الكلمات في مناسبات مختلفة .

٣ — الجمع

من ضروب الجمع المطردة في بيئة الأهوار : جمع المؤنث السالم ، الذي يرد في الغالب على هيئة المصغّر ، وقد مرت له أمثلة في ظاهرة التصغير ، وجمع التكسير الذي تشيع منه صيغ منتهى الجموع على ألسنة أهالي الأهوار ، ومن الصيغ الشائعة لديهم :

١ - فواعيل ، التي ترد جمعاً لـ (فاعول) الدالة على مبالغة الوصف في اسم الفاعل ، مثل : حواشيش التي تُطلق على الذين يجمعون الحشيش ، و دوافيع ، جمع : دافوع ، وهو الذي يدفع الزورق بمجدافه واقفاً ، وصوابيد جمع صايود (أي الصياد) ، وزوافيف جمع زافوف . كما ترد جمعاً لـ (فوعال) مثل : صُوابيط جمع صوبايط ، وهو السقيفة ، ولـ (فاعل) مثل : كَواهِين جمع كَاهِن ، وهو الممرّ المائي ، كما ترد جمعاً لجمع تكسير أيضاً مثل : عُوادين جمع عيدان .

٢ — **فَاعِيل** ، التي ترد جمعاً لمفرد على زنة (فَعَالَة أو فِعَالَة) مُضَعَّف العين ، مثل : طِرَارِيد جمع طِرَادَة وهي قارب الحرب في الأهوار . وَسِجَاجِيد (بجيم رخوة) . وجمعاً لـ (فعلول) مثل : نَفَانِيف واحدها نَفَنُوف .

٣ — **أَفَاعِيل** ، التي ترد جمعاً لـ (أَفَعَل) الدالة على الصفة المشبهة ، مثل : أَجَاوِيد (بجيم رخوة) جمع (أجود) ، وقد تكون جمعاً لجمع (أجواد) ، كما يقال : أَظْفَار وَأظْفِير .

٤ — **مَفَاعِيل** ، وترد جمعاً لـ (مَفَعُول) صفة أو آلة ، مثل : مِجَاتِيل (بجيم شديدة مهموسة) جمع مِجْتُول (مقتول) ، ومشاحيف جمع مشحوف ، وهو الزورق ، ومصاويب جمع مصيوب .

والأصل في هذه الصيغ في العربية : فواعل وفعال وأفعال ومفاعل ونحوها ، دون المبالغة في نطق الكسرة ، ولكنّ المسموع في هذه البيئة هو ميلهم إلى إشباع الكسرة في الغالب ، وهو ظاهرة صوتية قديمة ، قال ابن جني : ((ومن إشباع الكسرة ومطلها ما جاء عنهم من الصياريف و المطافيل والمجايد))^(٣٨) ، ولا شك في أنّ مدّ الكسرة في هذه البيئة إنّما هو لغرض بيان الصوت الصائت القصير ، بتحويله إلى صائت طويل .

المبحث الثالث : دلالة الألفاظ

الدلالة في أبسط صورها هي العلاقة بين اللفظ والمعنى ، من حيث الاستعمال ، والبحث في دلالة الألفاظ في لهجة الأهوار يعتمد كثيراً على استعمال اللفظة في داخل إطار البيئة نفسها على مستوى التخاطب ، والظاهر أنّ بيئة الأهوار قد اقتصرت على مجموعة من الألفاظ المغلقة* ، أمّا تلك الألفاظ المنفتحة في الاستعمال الدلالي فتكاد تكون قليلة كذلك ، بسبب ميل أهالي الأهوار إلى الثبات والاستقرار في بيئة مغلقة على البيئات الأخرى ، ولا سيّما المدن القريبة منها ، إضافة إلى ذلك إنّ نظام الحياة في هذه البيئة يطغى عليه التقليد والتكرار ، فهي بمنأى عن كل ما يستجدّ خارج إطارها الثابت .

ولهذا السبب يمكن عدّ كثير من الألفاظ في لهجة الأهوار بمنزلة الألفاظ الغريبة ، لعدم استعمالها في بيئات أخرى ، وليس ذلك بغريب ، فقد ((تشيع كلمات خاصة في بيئة اللهجة ، غير معروفة بلفظها أو

معناها في بيئة اللهجات الأخرى))^(٣٩) . ومن بين تلك الألفاظ الخاصة : كَوَاهِين (ممرات مائية) وهِطِر (حزم القصب) ، وبربيجة : (نبات مائي) ، وكوشرة (نوع من الطيور) وغيرها كثير .

والملاحظ أنّ كثيراً من الألفاظ المستعملة في هذه البيئة يرجع إلى أصول عربية قديمة ، وإذا كان ثمة اختلاف بينها ، فهو لا يعدو أن يكون تطوراً في المعنى أو تغييراً صوتياً في بنية اللفظة ، فلفظة (رَفْش) التي يطلقها أهالي الأهوار على ذكر السلحفاة ، تدل في الأصل على الأكل الشديد ، يقال : ((رَفْشَةً رَفْشاً : أكله أكلاً شديداً))^(٤٠) ، والذي حدث توسّع في الدلالة ، والعلاقة واضحة ، فإنّ (الرَفْش) في بيئة الأهوار من بين الحيوانات المعروفة بشراستها وبشدة عضّها ، والتغير الصوتي واضح كذلك في تحريك وسط الكلمة الساكن بالكسرة ، وهو ما يفسّر ميل أهالي الأهوار إلى المقاطع المتحركة . مثل : هذا شِغِص ، و هو بيت مؤقّت من القصب ، ولعلّ أصله من الشَّقْص ، وهو ((الطائفة من الشيء والقطعة من الأرض))^(٤١) ، والصلة واضحة بين الاستعمالين ، ومنه (الشِغِص) وهو المخبأ أو الملجأ المعدّ من الحصران . ومن ذلك : لِيْطَة ، وهي قطعة من القصب تُحدّد من أحد طرفيها فتتخذ سكيناً ، وتستعمل للحلاقة كذلك ، وهي من الألفاظ الفصيحة الدالة على قشرة القصبية^(٤٢) . ومن ذلك : دَوَّار ، التي تطلق على صاحب البضائع المتنقل في زورق بين أهالي الأهوار .

ومن ذلك : الخَرِيْط وهو : مسحوق أصفر يُستخرج من سيقان البرديّ ، يصنع بطريقة خاصة ، من خلال تمريره أو عرضه على بخار الماء ، وهو من (خَرَطَ) الفصيحة الدالة على تمرير^(٤٣) .

ومن ذلك : الهِدْم ، التي تعني العباءة الصيفية وهي خاصّة بالرجال ، كما تطلق على عباة النساء ، واللفظة من (الهدم) الفصيحة ، بمعنى الثوب البالي ، وفي بيئة الأهوار من الألفاظ التاريخية القديمة والدخيلة التي مازالت جارية على أسنة أهلها ، فمن الألفاظ القديمة : (بارية) وهي الحصير المصنوع من القصب ((وتذكرها المعاجم العربية على أنّها مُعرّبة من الفارسية ولكن ورودها في النصوص المسمارية . . . يدل بدون شك على أنّها من التراث اللغوي العراقي القديم))^(٤٤) ، ومن الراجح أنّها انتقلت إلى اللغة الفارسية من هذه البيئة بسبب تجاور البيئتين واحتكاكهما الواحدة بالأخرى .

ومنها لفظة (إيشان) التي تجمع على (يشن) التي تطلق على المواضع الأثرية التي تعلو مستوى مياه الأهوار ، وكذلك لفظة (دِبن) التي تجمع على (دُبون) ويراد بها البيوت المؤقتة وهي تصنع من

القصب ، ومن ذلك أيضا : (المشحوف) وهو الزورق ، ويغلب على الظن أنه من الألفاظ السومرية القديمة .

ومن الألفاظ الدخيلة التي تسربت إلى بيئة الأهوار : (سرجين) و (صُوبات) التي تجمع على (صوابيط) وتطلق على أسرة خاصة أشبه بالسقائف ، وهي من أصل فارسي^(٤٥) ، و (كوناغ) التي تدلّ على مكان عرض الأسماك وبيعها ، والراجح أنها من الألفاظ الفارسية .

ومن الألفاظ الكردية الدخيلة في لهجة الأهوار : (الجاون)^(٤٦) التي تنطق بجيم رخوة ، وهي الهاون المصنوع من الخشب .

وتدلّ الموازنة بين الألفاظ الدخيلة وغير الدخيلة في لهجة الأهوار على أنّ الألفاظ التاريخية القديمة والألفاظ التي تمتّ إلى فصيح العربية هي الأكثر نسبة من حيث الاستعمال والشيوخ ، الأمر الذي يعني عدم تأثر هذه البيئة باللغات الأخرى ، سوى الفارسية التي اقترضت منها بيئة الأهوار طائفة من الكلمات وقد أشرنا إلى بعضها في سطور سابقة ، وهذا يؤكد سلامة بيئة الأهوار من تداخل اللغات ، وقربها من العربية الفصيحة .

هوامش البحث

(١) ط ٢ ، بيروت ١٩٧٨ ص ٢٧٢-٢٧٨

(٢) ينظر : مناهج البحث في اللغة ص ١٦

(٣) ينظر : المدخل إلى علم اللغة ص ٥١

(٤) في : أصوات العربية بين التحول والثبات ص ١٠٣

(٥) الصحاح (بطح) ٣٥٦/١

(٦) القاموس المحيط (بطح) ٢١٦/١

(٧) المعجم الوسيط ٩٩٩

(٨) العودة الى الأهوار ص ١٠

(٩) أفادني بهذا كله الباحث الفاضل جبار الجويبراي

(١٠) ينظر : الأهوار حضارة سومر ص ١٦١

(١١) قصبه في مهب الريح ص ٨

(١٢) ينظر نزهة الالباء ص ٢١-٢٢

(١٣) ينظر لسان العرب (معد) ٩٥/١٤-٩٦

(١٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣٨٦/١ ، ومُعَيدي إشارة الى المثل المعروف : تسمع بالمعيدي خير من أن

تراه ، وهو تصغير رجل منسوب الى معدّ .

(١٥) المدخل الى علم اللغة ص ١٦٩

(١٦) ينظر : بحوث ومقالات في اللغة ص ٢٣٧ ، والبحث الصوتي عند العرب ص ٣٤-٣٥

(١٧) مباحث في علم اللغة واللسانيات ص ٣٤٨

(١٨) علم الاصوات ص ٢٧٦

(١٩) بحوث ومقالات في اللغة ص ٩

(٢٠) الأصوات اللغوية ص ٧٤ ، وينظر بحوث ومقالات في اللغة ص ١٠

(٢١) الأبدال ٢٤٥/١

(٢٢) المزهر في علوم اللغة ٤٧٢/١

(٢٤) علم الأصوات ص ٣١٠

* وقد وصف في بعض الدراسات الحديثة بأنه صوت مركب من الشدة والرخاوة ، غير أنه أقرب إلى الشدة من الرخاوة

كما ذهب د. ابراهيم أنيس في : الأصوات اللغوية ص ٩٣

(٢٥) الكتاب ٤/٣٢

(٢٦) لسان العرب (جياً) ٢٤٨/٣ ، وينظر لهجة تميم ص ٩٧-٩٨

(٢٧) مدخل الى علم اللغة ص ٥١

(٢٨) لسان العرب (حرف الظاء) ١٧٨/٩

* المراد بها همزة القطع التي تشكل صوتاً مستقلاً في النظام الصوتي للعربية .

(٢٩) الأصوات اللغوية ص ٧٨

(٣٠) الأصوات اللغوية ص ٧٨ ، وينظر علم الأصوات ص ٢٨٨

(٣١) ينظر تهذيب اللغة (عن) ١١٢/١

(٣٢) ينظر : المزهر ٤٦٢/١

(٣٣) ينظر : فصول في فقه اللغة ص ١٣٧

(٣٤) ينظر لسان العرب (حرف الهمزة) ٢٧/١

(٣٥) النشر في القراءات العشر ٣٥/٢

(٣٦) اللهجات العربية في التراث ٦٤٨/٢

(٣٧) من أسرار اللغة ص ٧٣

(٣٨) الخصائص ١٢٥/٣

* أي الألفاظ الدالة على معنى واحد لا تتعداه .

(٣٩) دلالة الألفاظ ص ٣٢

(٤٠) لسان العرب (رفش) ١٩٠/٥

(٤١) المصدر نفسه (شقص) ١١٠/٨

(٤٢) الصحاح ١١٥٨/٢

(٤٣) المصدر نفسه ١١٢٢/٢

(٤٤) من تراثنا اللغوي القديم ص ٥٦

(٤٥) ينظر : معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص ٩٠

(٤٦) ينظر : معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٥٩

المصادر والمراجع

- ١ - الإبدال ، أبو الطيب اللغوي ، تحقيق د . عز الدين التنوخي ، دمشق ١٩٦٠ .
- ٢ - أصوات العربية بين التحول و الثبات ، د . حسام النعيمي ، بغداد ١٩٨٩ .
- ٣ - الأصوات اللغوية ، د . إبراهيم أنيس ، مصر ١٩٩٩ .
- ٤ - الأهوار حضارة سومر ، مهدي الحسنوي ، بغداد ٢٠٠٤ .
- ٥ - أوتار القصب (رواية) محسن الموسوي ، بغداد ١٩٩٠ .
- ٦ - البحث الصوتي عند العرب ، د . خليل العطية (الموسوعة الصغيرة ١٢٤) بغداد ١٩٨١٣ .
- ٧ - بحوث ومقالات في اللغة ، د . رمضان عبد التواب ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٨٨ .
- ٨ - تهذيب اللغة ، الأزهرى ، تحقيق عبد السلام هارون و آخرين ، مصر ١٩٦٤ .
- ٩ - الجبايش ، د . شاكر مصطفى كريم ، بغداد ١٩٥٦ .
- ١٠ - الخصائص ، ابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، ط بغداد ١٩٩٠ .
- ١١ - دلالة الألفاظ ، د . إبراهيم أنيس ، ط ٣ مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٦ .
- ١٢ - شفاء الغليل ، الخفاجي ، تقديم وتصحيح الدكتور محمد كشاش ، بيروت ١٩٩١ .
- ١٣ - الصحاح ، الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت .
- ١٤ - علم الأصوات ، كمال بشر ، القاهرة ٢٠٠٠ .
- ١٥ - العودة إلى الأهوار، كافن يونغ ، ترجمة د. حسن الجنابي ، (سلسلة كتب شهرية) العراق ٢٠٠٩ .
- ١٦ - العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق د . مهدي المخزومي و د . إبراهيم السامرائي ، بغداد ١٩٨١ .
- ١٧ - فرست دانش آموز (قاموس الطالب) ، عربي فارسي ، فارسي عربي ، أعدّه احمد سياح ، طهران ١٣٧٨ هـ
- ١٨ - فصول في فقه اللغة ، د . رمضان عبد التواب ، ط ٢ ، القاهرة .

- ١٩ - فقه اللغة المقارن ، د . إبراهيم السامرائي ، بيروت ١٩٧٨ .
- ٢٠ - القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، عالم الكتب ، بيروت .
- ٢١ - قصبة في مهب الريح ، كافن ماكسويل ، ترجمة صادق عبد الصاحب ، بيروت .
- ٢٢ - الكتاب ، سيوييه ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٨٢ .
- ٢٣ - لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ٢٠٠٥ .
- ٢٤ - اللهجات العربية في التراث ، د . أحمد علم الدين الجندي ، ليبيا ١٩٧٨ .
- ٢٥ - لهجة تميم ، غالب فاضل المطلبي ، بغداد ١٩٧٨ .
- ٢٦ - مباحث في علم اللغات واللسانيات ، د . رشيد العبيدي ، بغداد ٢٠٠٢ .
- ٢٧ - المدخل إلى علم اللغة ، د . رمضان عبد التواب ، الخانجي ٢٠٠٣ .
- ٢٨ - المزهر في علوم اللغة ، السيوطي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، مصر .
- ٢٩ - معجمات عربية سامية ، الأب الدومنيكي ، لبنان ١٩٥٠ .
- ٣٠ - معجم الألفاظ الفارسية المعربة ، أدبي شير ، بيروت ١٩٨٠ .
- ٣١ - المعجم الوسيط ، أخرجه د . إبراهيم أنيس وآخرون ، بيروت ١٩٩٠ .
- ٣٢ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د . جواد علي ، ط ٢ ، بغداد ١٩٩٣ .
- ٣٣ - من أسرار اللغة ، د . إبراهيم أنيس ، ط ٣ ، القاهرة ٢٠٠٣ .
- ٣٤ - من تراثنا اللغوي القديم ، طه باقر ، بغداد ١٩٨٠ .
- ٣٥ - نزهة الألباء ، أبو البركات الانباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٩٨ .
- ٣٦ - النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، تقديم الأستاذ علي الضباع ، ط ٣ ، بيروت ٢٠٠٦ .